

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم إني لك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. يا ابن آدم إني لك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة). رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

هذا الحديث تفرد به الترمذى خروجه من طريق كثير بن فائدة: حدثنا سعيد بن عبيد سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول حدثنا أنس فذكره.

وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه انتهى.

وإسناده لا بأس به، وسعيد بن عبيد هو الهنائي. قال أبو حاتم: شيخ وذكره ابن حبان في الثقات ومن زعم أنه غير الهنائي فقد وهم وقال الدارقطني: تفرد به كثير بن فائدة عن سعيد مرفوعا ورواه مسلم بن قتيبة عن سعيد عن عبيد فوقفه أنس.

قلت: قد روى عنه مرفوعا وموقوفا وتابعه على رفعه أبو سعيد أيضا مولى بني هاشم فرواه عن سعيد بن عبيد مرفوعا أيضا وقد روى أيضا من حديث ثابت عن أنس مرفوعا ولكن قال أبو حاتم: لو منكر.

شواهد الحديث

وقد روى أيضا عن سعيد بن عبيد مرفوعا أيضا من حديث أبي ذر خروجه الإمام أحمد من رواية شهر بن حوشب عن معد يكرب عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه تعالى فذكره بمعناه. ورواه بعضهم عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر.

وقيل عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يصح هذا القول.

وروى حديث ابن عباس. خروجه الطبراني من رواية قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى بعضه من وجوه آخر: فخرج مسلم في صحيحه من حديث معز بن سويد عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: (مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقِرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيْتُهُ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً).

وخرج الإمام أحمد من رواية أحسن السلسوسى قال: (دخلت على أنس فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم). وقد تضمن حديث أنس المبدوء بذكره أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة.

السبب الأول

الدعاء مع الرجاء

أحدهم: الدعاء مع الرجاء فإن الدعاء مأمور به وموعد عليه بالإجابة كما قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ). سورة غافر: آية ٦٠ (وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الدعاء هو العبادة) ثم تلا هذه الآية.

وفي حديث آخر خرجه الطبراني مرفوعاً: من أعطى الدعاء أعطى الإجابة لأن الله تعالى يقول: (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ). سورة غافر: آية ٦٠ (وفي حديث آخر: ما كان الله ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة). لكن الدعاء سبب مقتض للاجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه وآدابه وقد سبق ذكر بعض شرائطه وموانعه وآدابه في شرح الحديث العاشر.

من أعظم شرائطه

حضور القلب ورجاء الإجابة

من الله تعالى

كما خرجه الترمذى من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة، وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه). وفي المسند عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذه القلوب أوعية فبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتهم الله فاسألوه و أنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل). ولهذا نهي العبد أن يقول في دعائه: (اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكروه له). نهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه.

الله يحب الملحين في الدعاء

ولو طال المدة فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء وجاء في الآثار (إن العبد إذا دعا ربه وهو يحبه قال يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدي فإنني أحب أن اسمع صوته). قال تعالى: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ). سورة الأعراف: آية ٥٦ فما دام العبد يلح في الدعاء، ويطمع في الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. وفي صحيح الحاكم عن أنس مرفوعاً: (لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد).

من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه

ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حولها نندنن) يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. وقال أبو مسلم الخولاني: (ما عرضت لى دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الإستعاذة منها).

سبب صرف الإجابة عن العبد

ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه يعوضه خيرا منها: - إما أن يصرف عنه بذلك سوءا.

- أو يدخرها له فى الآخرة.

- أو يغفر له بما ذنبا.

كما فى المسند والترمذى من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع يائثم أو قطيعة رحم).

وفى المسند وصحيح الحاكم عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس له فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بما إحدى ثلاث: - إما أن يعجل له دعوته.

- وإما أن يدخرها له فى الآخرة.

- وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها.

قالوا: إذا نكثرت؟ قال: الله أكثر).

وخرجه الطبرانى وعنده: (أو يغفر له بما ذنبا قد سلف).

بدل قوله: (أو يكشف عنه من السوء مثلها).

وخرج الترمذى من حديث عبادة مرفوعا نحو حديث أبى سعيد أيضا.

من أعظم أسباب المغفرة

أن العبد إذا أذنب ذنبا لم يرجح مغفرته ألا من الله

وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة.

والله تعالى يقول: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ).

وفى رواية (فلا تظنوا بالله إلا خيرا).

ويروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعا: (يأتى الله بالمؤمن يوم القيامة فيقر به حتى يجعله فى حجاب من

جميع الخلق فيقول: لم أقرأ فيعرفه ذنبا ذنبا أتعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم نعم، ثم يلتفت العبد بمنة ويسرة. فيقول الله

تعالى: (لا بأس عليك يا عبدى أنت فى سترى من جميع خلقى، ليس بينى وبينك أحد يطلع على ذنوبك غيرى

غفرتما لك بحرف واحد من جميع ما أتيتنى به.

قال: ما هو يا رب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيرى).

فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبا لم يرجح مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بما

غيره.

وقد سبق ذكر ذلك في شرح حديث أبي ذر: (يا عبأى إبنى حرمت الظلم على نفسى).

ذنوب العبد وإن عظمت

عفو الله أعظم منها

وقوله: (إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى).
يعنى على كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يعاظمنى ذلك ولا استكثره.
وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا أحد فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شىء).
فذنوب العبد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم، فهى صغيرة فى جنب عفو الله ومغفرته.
وفى صحيح الحاكم عن جابر: (أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول: واذنوباه، مرتين أو ثلاثا.
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: قل: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى، ورحمتك أرجى عندى من عملى، فقلها ثم
قال له: عد، فعاد، ثم قال له: عد، فعاد، فقال له: قم قد غفر الله لك).
وفى هذا المعنى يقول بعضهم: يا كثير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر ذنبك أعظم الأشياء فى جانب عفو الله تغفر
وقال آخر:

يَا رَبِّ إِنَّ عَظَمَتِ ذُنُوبِي كَثْرَةَ ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

السبب الثانى

الاستغفار لو عظمت الذنوب

السبب الثانى للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت العنان وهو السحاب. وقيل ما انتهى إليه البصر
منها.

وفى الرواية الأخرى: (لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم).

بيان معنى الاستغفار

والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هى وقاية شر الذنوب مع سرها وقد كثر فى القرآن ذكر الاستغفار.
فتارة يؤمر به.

كقوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). سورة المزل: آية ٢٠ وقوله: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ). سورة هود: آية ٣ وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ). سورة آل عمران: آية ١٧ وقوله
تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ). سورة

آل عمران: آية ١٣٥ وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا). سورة النساء: آية ١١٠

الاستغفار يقرون بالتوبة

وكثيرا ما يقرون الاستغفار بذكر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان. والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة كما ذكر الحديث وما أشبهه. فلو قيل إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة. وقيل إن نصوص الاستغفار كلها المفردة مطلقة تقيد بما ذكر في آية آل عمران من عدم الإصرار. فإن الله وعد فيها بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ولم يصصر على فعله فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا القيد. ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي (طلب منه للمغفرة ودعائها فيكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، ولا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات. ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي. فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلا). وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم فإنكم ما تدررون متى تنزل المغفرة). وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (حسن الظن) من حديث أبي هريرة مرفوعا: (بينما رجل مستلق إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم فقال: إني لأعلم أن لك ربا خالقا، اللهم اغفر لي فغفر له). وعن مورق قال: (كان رجل يعمل السيئات فخرج إلى البرية فجمع تراب فاضطجع مستلقيا عليه، فقال: رب اغفر لي ذنوبي، فقال: إن هذا ليعرف أن له رب يغفر ويعذب فغفر له). وعن مغيث بن سمي قال: (بينما رجل خبيث فتذكر يوما اللهم غفرانك اللهم غفرانك ثم مات فغفر له). ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عبدا أذنب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا فاغفر لي، قال الله تعالى: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فذكر مثل الأول مرتين آخرين). وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة: (قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء). والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار. ولهذا في حديث أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة) خرجه أبو داود والترمذي

قد يكون الاستغفار مانعا من الإجابة

والإستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه وإن شاء رده، وقد يكون الإصرار مانعا من الإجابة.

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا:

(ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون).

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه).

ورفعه منكر ولعله موقوف.

قال الضحاك: (ثلاثة لا يستجاب لهم: فذكر منهم: رجل مقيما على امرأة زنا كلما قضى منها شهوته قال: رب

اغفر لي ما أصبت من فلانة، فيقول الرب: تحول عنها وأغفر لك، وأما ما دمت عليها مقيما فإن لا اغفر لك،

ورجل عنده مال قوم يرى أهله فيقول: رب اغفر لي ما أكل من فلان فيقول تعالى: رد إليهم ما لهم وأغفر لك،

وأما ما لم ترد إليهم فلا أغفر لك).

الاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الاصرار

وقول القائل: (أستغفر الله). معناه: اطلب مغفرته فهو كقوله: (اللهم اغفر لي).

فالإستغفار التام الموجب للمعجزه هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة.

قال بعض العارفين: (من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره).

وكان بعضهم يقول: (استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير).

وفي ذلك يقول بعضهم:

استغفر الله من أستغفر الله ... من لفظة بَدَرَتْ خَالَفَتْ مَعْنَاهَا

وَكَيْفَ أَرَجُوْا إِجَابَاتِ الدُّعَاءِ وَقَدْ ... سَدَدَتْ بِالذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ مَجْرَاهَا

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار وهو حيثنذ يؤمل توبة نصوحا وإن قال بلسانه: (استغفر الله) وهو غير

مقلع بقلبه فهو داع لله بالمغفرة كما يقول: (اللهم اغفر لي) وهو حسن وقد يرجي له الإجابة.

وأما من تاب توبة الكذابين فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقد بعض الناس وهذا حق. فإن التوبة لا تكون مع

الإصرار.

هل يجوز أن يزيد العبد في استغفاره بقوله وأتوب إليه؟

وإن قال: استغفر الله وأتوب إليه فله حالتان: إحداها: أن يكون مصرا بقلبه على المعصية فهو كاذب في قوله

(وأتوب إليه) لأنه غير تائب فلا يجوز له أن يخبر عن نفسه بأنه تائب وهو غير تائب.

والثانية: أن يكون مقلعا عن المعصية بقلبه.

فاختلف الناس في جواز قوله وأتوب إليه: فكرهه طائفة من السلف وهو قول أصحاب أبي حنيفة. حكاها عنهم

الطحاوي.

وقال الربيع بن خثيم: (يكون قوله) وأتوب إليه (كذبة وذنبا ولكن ليقول: (اللهم إني أستغفر فتاب علي) وهذا قد

يحمل على من لم يقلع بقلبه وهو بحالة أشبهه.
 وكان محمد بن سوفة يقول في استغفاره: (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، وأسأله توبة نصوحا).
 وروى عن حذيفة أنه قال: بحسب من الكذب أن يقول أستغفر الله ثم يعود).
 وسمع مطرف رجلا يقول: (أستغفر الله وأتوب إليه).
 (فتغيظ عليه وقال: لعلك لا تفعل).
 وهذا ظاهره يدل على أنه إنما كرهه أن يقول (أتوب إليه) لأن التوبة النصوح أن لا يعود إلى الذنب أبدا. فمتى عاد كان كاذبا في قوله (أتوب إليه).
 وكذلك سئل محمد بن كعب القرظى عن عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبدا فقال: (من أعظم منه إثما؟ يتألى على الله أن لا ينفذ قضاءه). ورجح قوله في هذا أبو الفرج ابن الجوزى.
 وروى عن سفيان نحو ذلك، وجهور العلماء على جواز أن يقول التائب (أتوب إلى الله) وأن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية، فإن العزم على ذلك واجب في الحال.
 لهذا قال: (ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة).
 وقال في المعاهد للذنوب: (قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء).
 وفي حديث كفارة المجلس: (أستغفرك اللهم، وأتوب إليك).
 وقطع النبي صلى الله عليه وسلم يدي سارق ثم قال له: (استغفر الله وتب إليه. فقال: أستغفر الله وأتوب إليه فقال: اللهم تب عليه) أخرجه أبو داود

الزيادة على قوله

استغفر الله وأتوب إليه

واستحب جماعة من السلف الزيادة على قوله: (أستغفر الله وأتوب إليه).
 فروى عن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول: (أستغفر الله وأتوب إليه) فقال له: قل يا حقيق. قل توبة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا).

وسئل الأوزاعي عن الإستغفار: يقول (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى وأتوب إليه) فقال: (إن هذا لحسن ولكن يقول: اغفر لى حتى يتم الإستغفار).

أفضل أنواع الاستغفار

وأفضل أنواع الإستغفار: - أن يبدأ العبد بالثناء على ربه.

- ثم يثنى بالإعتراف بذنبه.

- ثم يسأل الله المغفرة.

كما في حديث شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيد الإستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك

بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (خرجه البخارى وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي قال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم).

من انواع الاستغفار

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه). وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن من قاله غفر له وإن كان فر من الزحف) خرجه أبو داود والترمذى وفي كتاب عمل اليوم والليلة للنسائي عن خباب بن الأرت قال: قلت يا رسول الله كيف نستغفر؟ قال: قل اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (ما رأيت أحدا أكثر أن يقول: (أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي الأربعة عن ابن عمر قال: (إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور)

كم يستغفر في اليوم

؟

وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة). وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) وفي المسند عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله إني ذرب اللسان وإن عامة ذلك على أهلي فقال: أين أنت من الإستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة). وفي سنن أبي داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أكثر من الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب). قال أبو هريرة: (إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديني) وقالت عائشة رضى الله عنها: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيرا). قال أبو المنهال: (ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير)

دواء الذنوب الاستغفار

وبالجملة فدواء الذنوب الإستغفار.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعا: (إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الإستغفار). قال قتادة: (إن هذا القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم فأما دوائكم فالذنوب، وأما دوائكم فالإستغفار) وقال بعضهم: (إنما معول المذنبين البكاء والإستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الإستغفار). قال رباح القيسي: (لى نيف وأربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة).

وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه فإذا زلته لا تجاوز ستا وثلاثين فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، وختم في كل ركعة منها ختمة. قال: ومع ذلك فإن غير آمن من سطوة ربي أن يأخذني بما فأنا على خطر من قبول التوبة).

طلب الاستغفار من قلت ذنوبه

ومن زاد اهتمامه بذنوبه فرجما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه فالتمس منهم الاستغفار وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: (إنكم لم تذبوا).

وكان أبو هريرة يقول لعلمان الكتاب قولوا: (اللهم اغفر لأبي هريرة).

فيؤمن على دعائهم.

قال بكر المزني: (لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي لكان قبوله أن يفعل). ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم. فإن الله قد كتب كل شيء وأحصاه كما قال تعالى:

(يَوْمَ يَعْتَنُّهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) سورة المجادلة: آية ٦ وفي حديث شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب).

وفي مثل هذا يقول بعضهم:

استغفرُ الله مِمَّا يَعْلَمُ اللهُ ... إِنَّ الشَّيْءَ لَمَنْ لَا يَرْحَمُ اللهُ
مَا أَحْلَمَ اللهُ عَمَّنْ لَا يُرَاقِبُهُ ... كُلُّ مُسِيءٍ وَلَكِنْ يَحْلُمُ اللهُ
فَاسْتَغْفِرِ اللهُ مِمَّا كَانَ مِنْ زَلَلٍ ... طُوبَى لِمَنْ كَفَّ عَمَّا يَكْرَهُ اللهُ
طُوبَى لِمَنْ حَسُنَتْ سَرِيْرَتُهُ ... طُوبَى لِمَنْ يَنْتَهِي عَمَّا نَهَى اللهُ

السبب الثالث

التوحيد

السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقداه فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) سورة النساء: آية ٤٨ فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة. قال بعضهم: (الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار).

تحقيق التوحيد يوجب مغفرة الذنوب

فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية ورجاء وتوكلا. وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات.

كما في المسند وغيره عن أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل). وفي المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: (الحمد لله اللهم بعثني بكلمة وأمرتني بما واعدتني الجنة عليها وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: ابشروا، فإن الله قد غفر لكم) قال الشبلي: (من ركن إلى الدنيا أحرقتة بنارها فصار رمادا تذرؤه الرياح ومن ركن إلى الآخرة أحرقتة بنورها فصار ذهباً أحمر ينتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقتة بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له).

التوحيد يطهر القلب

إذا علقت نار المحبة بالقلب أحرقت منه كل شيء ما سوى الرب عز وجل فطهر القلب حينئذ من الأغبار وصلاح غرسا للتوحيد.

(ما وسعني سمانى ولا أرضى، ولكن وسعني قلب عبدى المؤمن)
غَصَبَنِ الشَّقْوَ إِيَّاهُمْ بِرَيْقِي ... وَأَحْرَقِي فِي الْهُوَى وَأَحْرَقِي
قَدْ رَمَانِي الْحُبُّ فِي لُحِّ بَحْرِ ... فَخَلُّوا بِاللَّهِ كَفَّ الْعَرِيقِ
حَلَّ عِنْدِي حُبُّكُمْ فِي شَعْلَفِي ... حَلَّ مَنِّي كُلَّ عَهْدٍ وَثَبِقِ